

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم

سورة البقرة نموذجاً

مُحَمَّدُ عرفان بن مُحمَّد رشدي¹

الملخص

تتلخص مشكلة هذا البحث في الوقوف على معرفة الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم وأثرها في إبراز المعاني وتأثيرها في النفوس، وتتفرع عن البحث عدة أسئلة منها ما أهم الصور البيانية التي جاءت عن الإنفاق في القرآن الكريم؟ وكيف يكون للأسلوب البياني دور في إبراز المعاني وتأثيرها في نفوس السامعين؟ وكيف تكون الصورة البيانية مهمة في فهم المراد؟ ويهدف البحث إلى ذكر أهمية الصورة البيانية عن الإنفاق وبيان خصائصه البيانية والفنية في سورة البقرة إضافة إلى الكشف عن أسرار البيان وإعجازه في هذه الآيات. ويتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف الظاهرة البيانية وصفا دقيقيا وتحليلها تحليلا دقيقيا مبينا أثره في المعنى المراد. وهذا البحث يسهم في الفهم الدقيق للصورة البيانية في آيات الإنفاق وأثر ذلك في استنباط الأحكام القرآنية. وانتهى البحث إلى عدة نتائج منها: أن الباحث وجد أن الله تعالى يعبر عن أحوال الناس بالتشبيه لتقريبه لعقول البشرية، ويعبر عن المعنى بالمجاز لقوة ارتباطه خياليا بعقول الناس، ويأتي بالاستعارة لإخفاء المعاني حتى يصل إلى المراد، ويشير بالكناية لتوضيح المعنى.

¹ - محاضر اللغة العربية بجامعة مارا للتكنولوجيا، شاه عالم. irfanrusdy@gmail.com وطالب دكتوراه في كلية اللغة العربية المتخصص في البلاغة والنقد بجامعة الإنسانية، قدح دار الأمان. محاضرا في جامعة مارا للتكنولوجيا، شاه عالم، سلانجور

Abstract

*The bayan value in the verses of spending (infaq) in the Holy Quran A model study
in Surah Al Baqarah*

The problem of research is to overcome the knowledge of the *bayan* value in the verses of expenditure in the Holy Quran and its impact in highlighting the meanings and their impact on the souls. The research raises several questions, including the most important bayan that came from spending in the Holy Quran? Is the *bayan* method has a role in highlighting meanings and impact in the minds of listeners? Is the picture important in understanding the meaning? The aim of the research is to mention the importance of the *bayan* valued of expenditure and its graphic and artistic characteristics in Surat al-Baqarah, in addition to revealing the secrets of the statement and its miracles in these verses. The researcher follows a descriptive and analytical approach in describing the phenomenon accurately and accurately analyzing the analysis based on its effect in the intended meaning. This research contributes to the accurate understanding of the phenomenon of the statement in the verses of expenditure and its impact in the development of Koranic provisions. The research ended with several results, including : That the researcher found that God expresses the conditions of people by analogy to his proximity to human minds, and expresses the meaning of the metaphor of the strength of his association imaginary people's minds, and comes metaphorical to hide the meanings until it reaches the intended, and refers to the metaphor for the use of the concerned.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد
فالبلاغة القرآنية لا تزال خصباً في حاجة إلى جهود الباحثين للكشف عن خصائص نظم القرآن وأساليبه البليغة،
هذا على الرغم من أن علماءنا قد أفاضوا في الحديث عن القرآن الكريم تفسيراً وتأويلاً وبلاغة، وظل القرآن نبعا
لا ينضب وكنزا لا يفنى.

ومع ذلك ما زالت بلاغته في حاجة إلى جهود العلماء والباحثين للكشف عن أسرارها وأساليبها البيانية جميعاً.
علم البيان علم يكشف عن أسرار القرآن وإعجازه، وهو من أفضل الطرق وأمتنها في الكشف عن أسرار القرآن

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

الكريم وإعجازه، وقد علم الله تعالى أن الإنس والجن قد عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة يقول تعالى ﴿قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾² ولكن لا يعجزهم في التفكير في آياته.

ولا ينتهي تفسيره وتأويله وإعجازه إلى يوم القيامة، وكل يوم تزداد أسرار القرآن لقارئه وباحثه، وذلك لقوله تبارك وتعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾³ ومن هذا المنطلق، تولد في نفسي حبّ التطلع والتعرف والكشف عن الصورة البيانية في آيات الإنفاق في سورة البقرة. والبحث عن أسرار كلام الله ومدى تأثيره في نفوس السامعين. والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي نظراً لأهميته وسرعة وصوله إلى ذهن السامعين.

مفهوم الإنفاق

الإنفاق مشتق من نفق أي مات، نفقت الدابة أي ماتت...ونفق درهمه وماله وطعامه كلاهما نقص وقلّ وقيل في ذهاب.. وخشية الإنفاق أي خشية الفناء والنفاد وأنفق المال أي صرف.⁴ وكلمة "نفق" تأتي لعدة تعريفات منها : الموت والقليل والصراف وسرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر. ومن ذلك فهمنا أن النفقة تجتمع في معنى واحد وهو ترك الحب بالموت والتقليل والصراف وترك المكان من الأرض إلى مكان آخر.

ولماذا أمر الله تعالى عباده لينفقوا من الأموال والقوة والفكرة وغير ذلك، ولا بد فيه من أسرار يتضمن في كلام الله رب العالمين.

² - سورة الإسراء، 17 : 88.

³ - سورة الكهف، 18 : 109.

⁴ - ابن منظور، جمال الدين، 1300 هـ / 1883م، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، المجلد 50، الصفحة 5407.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

وقد ورد في القرآن عن الإنفاق بداية من آية 195 حتى 274 حوالي 12 مرة، واشتقاقه في السورة البقرة هي

(أَنْفَقْتُمْ - انْفَقُوا - تُنْفِقُوا - تُنْفِقُونَ - يُنْفِقُونَ - يُنْفِقُونَ - أَنْفَقُوا - نَفَقَةٌ). ويذكر الباحث الصورة البيانية في

الآيات الآتية :-

1- قال الله تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾⁵

هذه الجملة معطوفة على قوله ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾⁶ فإنهم لما أمروا بقتال عدوهم أيقظهم الله إلى الاستعداد

بإنفاق الأموال في سبيل الله، فالمخاطبون بالأمر بالإنفاق جميع المسلمين لا خصوص المقاتلين. ووجه الحاجة إلى

هذا الأمر مع أن الاستعداد للحرب مركز في الطباع فإن المسلمين لا يقصرون في الإتيان على منتهى الاستعداد

لعدو قوي، لأنهم قد ملئت قلوبهم إيماناً بالله وثقة به، وملئت أسماعهم بوعده الله إياهم النصر.

والنصر لا يسقط عنهم أخذ العدة المعروفة فلا يحسبون أنهم غير مأمورين ببذل الوسع لوسائل النصر التي هي

أسباب النصر على حسب الحكمة التي اقتضاها النظام الذي سنه الله في الأسباب ومسبباتها، فتطلب المسببات

دون أسبابها غلط وسوء أدب مع خالق الأسباب ومسبباتها كي لا يكونوا كالذين قالوا لموسى ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ

وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾⁷ فالمسلمون إذا بذلوا وسعهم، ولم يفرطوا في شيء، فالله ناصرهم، ومؤيدهم.

والإنفاق في سبيل الله مجاز في اللفظ والإسناد، وقد غلب "سبيل الله" في اصطلاح الشرع في الجهاد. أي

القتال للكافرين عن دينه وإعلاء كلمته، و"في" للظرفية لأن النفقة تكون بإعطاء العتاد، والخيل، والزاد، وكل ذلك

مظروف للجهاد على وجه المجاز وليست "في" هنا مستعملة للتعليل. وحقيقته أنفقوا على المجاهدين في سبيل الله

⁵ - سورة البقرة، 2 : 195.

⁶ - سورة البقرة، 2 : 190.

⁷ - سورة المائدة، 5 : 24.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

نفقة أموال وأسياف وخيول وغير ذلك من الاستعداد، وقد استعمل سبيل الله مجازاً وعلاقته القائم في سبيله هم المجاهدون.

وسر الجمال في التعبير **بالجواز** لإخفاء الإنفاق على المجاهدين في سبيل الله وهذا الإنفاق من زكاة الأموال، والمنفق في سبيله لا يقل أجره ولو حبة عند الله تعالى مثل المجاهد في سبيله. وقوله: ﴿وَلَا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ هو البخيل، لأن البخلاء يلقون أنفسهم في الهلاك لعدم الإنفاق في سبيل الله الذي يؤدي إلى الهلاك فعدم الإنفاق في سبيل الله قد يسبب الهلاك للنفس . وكانوا يزعمون أن الإسلام سينتصر ولو بدون الإنفاق فيه، ومن هنا نهي الله عن إلقاء النفوس في الهلاك.

2- قال الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ⁸

هذه الآية تتحدث عن الإنفاق المتطوع به وهي مُحكمة وقيل نزلت قبل فرض الزكاة فتكون بياناً لمصارف الزكاة ثم نسخت بآية ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ⁹ فهو تخصيص لإخراج الوالدين والأقربين واليتامى، وإن كانوا من غير الأصناف الثمانية المذكورة في آية براءة.

و"ماذا" استفهام عن المُنفق -بفتح الفاء- ومعنى الاستفهام عن المنفق السؤال عن أحواله التي يقع بها موقع القبول عند الله، فإن الإنفاق حقيقة معروفة في البشر وقد عرفها السائلون في الجاهلية. فكانوا في الجاهلية ينفقون على الأهل وعلى الندامى وينفقون في الميسر.

⁸ - سورة البقرة، 2 : 215.

⁹ - سورة التوبة، 9 : 60.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

فسألوا في الإسلام عن المعتدّ به من ذلك دون غيره، فلذلك طابق الجواب السؤال إذ أجيب : ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فجاء ببيان مصارف الإنفاق الحق وعرف هذا الجنس بمعرفة أفرادها، فليس في هذا الجواب ارتكاب الأسلوب الحكيم كما قيل، إذ لا يعقل أن يسألوا عن المال المنفق بمعنى السؤال عن النوع الذي ينفق من ذهب أم من ورق أم من طعام، لأن هذا لا تتعلق بالسؤال عنه أغراض العقلاء، إذ هم يعلمون أن المقصد من الإنفاق إيصال النفع للمنفق عليه، فيتعين أن السؤال عن كيفية الإنفاق ومواقفه، ولا يريبكم في هذا أن السؤال هنا وقع بما وهي يسأل بها عن الجنس لا عن العوارض.¹⁰

وعبر بالماضي لإظهار الرغبة في حصول الشرط فينزل كالحاصل المتقرر. واللام في ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾ للملك، بمعنى الاستحقاق أي فالحقيق به الوالدين أي إن تنفقوا فأنفقوا للوالدين أو أعطوا للوالدين لأنهم أحق أن يعطوا.

والآية دالة على الأمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيه، وهي في النفقة التي ليست من حق المال أعني الزكاة ولا هي من حق الذات من حيث إنها ذات كالزوجة، بل هذه النفقة التي هي من حق المسلمين بعضهم على بعض لكفاية الحاجة وللتوسعة وأولى المسلمين بأن يقوم بها أشدهم قرابة بالمعوزين منهم، فمنها واجبة كنفقة الأبوين الفقيرين والأولاد الصغار الذين لا مال لهم إلى أن يقدروا على التكسب أو ينتقل حق الإنفاق إلى غير الأبوين، وذلك كله بحسب عادة أمثالهم، وفي تحديد القرى الموجبة للإنفاق خلاف بين الفقهاء.

وقوله : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ تذييل والمقصود من قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ كناية عن الجزاء عليه، لأن العليم القدير إذا امتثل أحد لأمره لا يحول بينه وبين جزائه عليه حائل . وشمل عموم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ الأفعال الواجبة والمتطوع بها فيعم النفقات وغيرها.

¹⁰ - ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، 1984م، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزء الثاني،

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

3- قال الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾¹¹

كان سؤالهم عن الخمر والميسر حاصلاً مع سؤالهم ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ فعطفت الآية التي فيها جواب سؤالهم ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ على آية الجواب عن سؤال الخمر والميسر، ولذلك خولف الأسلوب الذي سلف في الآيات المختلفة بجملة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ بدون عطف فجيء بهذه معطوفة بالواو على التي قبلها.

ومناسبة التركيب أن النهي عن الخمر والميسر يتوقع منه تعطل إنفاق عظيم ليس على وجه الإنفاق الصحيح فلست مطالباً بارتكاب المآثم لتنفق على المحتاجين، وإنما ينفق عليهم مما استفضله من ماله وهذا أمر بإنفاق لا يشق عليهم وهذا أفضل الإنفاق، لأن مقصد الشريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين ولا يحصل منه مقدار له بال إلا بتعميمه ودوامه لتستمر منه مقادير متماثلة في سائر الأوقات وإنما يحصل التعميم والدوام بالإنفاق من الفاضل عن حاجات المنفقين فحينئذ لا يشق عليهم فلا يتركه واحد منهم ولا يخلون به في وقت من أوقاتهم.

وفي الحديث في ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول﴾¹² فإن البداءة بمن يعول ضرب من الإنفاق، لأنه إن تركهم في خصاصة احتاجوا إلى الأخذ من أموال الفقراء، وفي الحديث : ﴿إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس في

¹¹ - سورة البقرة، 2 : 219.

¹² - النسائي، أحمد بن شعيب، 2001، كتاب السنن الكبرى، باب : الصدقة على ظهر غنى، رقم الحديث : 2325، لبنان، مؤسسة الرسالة، الجزء الثالث، الصفحة 50.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

أيديهم¹³ أي يمدون أكفهم للسؤال، فتبين أن المنفق بإنفاقه على من ينفق عليه يخفف عن الفقراء بتقليل عدد الداخلين فيهم، ولذلك جاء في الحديث : (وإنك لا تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك)¹⁴

إن الدين أمرنا بحسن الإنفاق على الأعيال كما وضحه المصطفى ﷺ ولكن هذه النفقات لا بد أن تأتي من مصدر حلال يطابق الشريعة الإسلام حتى لا يثبت لحم المؤمن من كسب الحرام، وحصول التفكير في الحلال لأجل الدنيا والآخرة. ولذلك قال تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ وفائدته ليحصل للأمة تفكر وعلم في أمور الدنيا وأمور الآخرة، لأن التفكير مطروف في الدنيا والآخرة.

ولا يخفى أن الذي يصلح للتفكر هو الحكم المنوط بالعلة وهو حكم الخمر والميسر ثم ما نشأ عنه قوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾. ويجوز أن تكون الإشارة " كذلك " لكون الإنفاق من العفو وهو ضعيف، لأن ذلك البيان لا يظهر فيه كمال الامتنان حتى يجعل نموذجاً لجيل البيانات الإلهية وحتى يكون محل كمال الامتنان وحتى تكون غايته التفكير في الدنيا والآخرة، ولا يعجبكم كونه أقرب لاسم الإشارة ، لأن التعليق بمثل هاته الأمور اللفظية في نكت الإعجاز إضاعة للألباب وتعلق بالقشور.¹⁵

¹³ - البخاري، مُجَّد بن إسماعيل، 2002، صحيح البخاري، باب : أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، رقم الحديث : 2742، بيروت، دار ابن كثير، الصفحة 677.

النسائي، أحمد بن شعيب، 2001، كتاب السنن الكبرى، باب : الصدقة على ظهر غني، رقم الحديث : 2325، لبنان، مؤسسة الرسالة، الجزء الثالث، الصفحة 50. رقم الحديث : 3629.

¹⁴ - البخاري، مُجَّد بن إسماعيل، 2002، صحيح البخاري، باب : فضل النفقة على الأهل، رقم الحديث : 5354، الصفحة 1363.

¹⁵ - ينظر ابن عاشور، مُجَّد الطاهر بن عاشور، 1984م، الجزء 2، الصفحة 353-354.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

4- قال الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا حُلَّةَ وَلَا شُفْعَةَ ۗ وَٱلْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾¹⁶

وقد حث القرآن على ذكر الآخرة بالإنفاق بقوله : ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾¹⁷ لأنه يذكر بأن هنالك وقتاً تنتهي الأعمال إليه ويتعدّر الاستدراك فيه، واليوم هو يوم القيامة، وانتفاء البيع والحلّة والشفاعة كناية عن تعدّر التدارك للفتات، لأن المرء يحصل ما يعوزه بطرق هي المعاوضة المعبر عنها بالبيع، والارتفاق من الغير وذلك بسبب الحلّة، أو بسبب توسط الواسطة إلى من ليس بخليل.

وظاهر في الآية إرادة عموم الإنفاق المطلوب في الإسلام، فالمراد بالإنفاق هنا ما هو أعم من الإنفاق في سبيل الله، ولذلك حذف المفعول والمتعلق لقصد الانتقال إلى الأمر بالصدقات الواجبة وغيرها.

والحلّة هي المودة والصحبة ونفي المودة في ذلك لحصول أثرها وهو الدّفْع عن الخليل كقوله تعالى : ﴿وَٱحْشَوْاْ يَوْمَآ لَا يَجْزِي وَٱلدَّ عَن وَٱلدَّ عَن وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَٱلدَّ عَن شَيْئًا﴾¹⁸ ويجوز أن يكون نفي الخليل كناية عن نفي لازمه وهو النفع كقوله : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾¹⁹.

5- قال الله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَٱللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَٱللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾²⁰

¹⁶ - سورة البقرة، 2 : 254.

¹⁷ - سورة البقرة، 2 : 254.

¹⁸ - سورة لقمان، 31 : 33.

¹⁹ - سورة الشعراء، 26 : 88.

²⁰ - سورة البقرة، 2 : 261.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

وفي الآية تشبيه حال إعطاء النفقة بحال حبة زرعت في أرض نقيّة وتراب طيب فأنبتت سبع سنابل، فحذف كل ذلك إيجازاً لظهور أن الحبة لا تنبت ذلك إلا كذلك، فهو تشبيه المعقول بالحواس والمشبه به هيئة معلومة. وقد شاع تشبيه المعروف بالزرع وتشبيه الساعي بالزارع.

قد ضعّف الله لمن ينفق ماله في سبيل الله مضاعفة حتى يكون سبعمائة ضعف تشجيعاً للمؤمنين على إنفاق بعض أموالهم في سبيل الله، وهذا التمثيل تصوير للأضعاف والجزاء كأنها ماثلة بين عيني الناظر.

والسر البلاغي في التشبيه إظهار الجزاء وتصويره في ذهن السامع حتى يتمثل بما وعده الله من إنفاق أموالهم. وسار المثل بهذا التضعيف على ألسنة الناس ترغيباً في الإنفاق.

6- قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَبًّا وَلَا أَدْبَىٰ ۚ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾²¹

وأعاد قوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إظهاراً للاهتمام بهذه الصلة. وقوله : ﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ ﴾ جاء في عطفه بـ"ثم" مع أنّ الظاهر أن يعطف بالواو، قال في "الكشاف" : " لإظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى ، وإنّ تركهما خير من نفس الإنفاق"²²؛ يعني أنّ ثم للترتيب الرتبي لا للمهلة الزمنية ترفيحاً لرتبة ترك المنّ والأذى على رتبة الصدقة؛ لأنّ العطاء قد يصدر عن كرم النفس وحبّ المحمّدة فللنفوس حظّ فيه مع حظّ المعطى، بخلاف ترك المنّ والأذى فلا حظّ فيه لنفس المعطي؛ فإنّ الأكثر يميلون إلى التبجح والتناول على المعطى، فالمهلة في "ثم" هنا مجازية؛ إذ شُبه حصول الشيء المهم في عزّة حصوله بحصول الشيء المتأخّر زمنه، وكأنّ الذي دعا الزمخشري إلى هذا أنّه رأى معنى المهلة هنا غير مراد لأنّ المراد حصول الإنفاق وترك المنّ معاً.

²¹ - سورة البقرة، 2 : 262.

²² - الزمخشري، محمود بن عمر، 1998، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الرياض، مكتبة العبيكان، المجلد 2، الصفحة 262.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

والمَنّ أصله الإنعام والفضل، يقال مَنَّ عليه مَنّاً، ثم أطلق على عدِّ الإنعام على المنعم عليه، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْتِرُ﴾²³ وهو إذا ذُكر بعد الصدقة والعطاء تعيّن للمعنى الثاني. وإمّا يكون المَنّ في الإنفاق في سبيل الله بالتطاول على المسلمين والرياء بالإنفاق، وبالتطاول على المجاهدين الذين يُجهّزهم أو يُحمّلهم، وليس من المَنّ التمدّح بمواقف المجاهد في الجهاد أو بمواقف قومه.

فذلك هو أعلى درجات الإنفاق وهو الموعود عليه بهذا الأجر الجزيل ، ودون ذلك مراتب كثيرة تتفاوت أحوالها .

7- قال الله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ۚ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾²⁴

وفي الآية تشبيهان أولاً : تشبيه الذين يبطلون إنفاقهم بالمن والأذى بالذي ينفق ماله رثاء الناس وإنما يعطي ليراه الناس وليس عنده ثواب عند الله تعالى. "ووجه الشبه عدم الانتفاع مما أعطوا بأزيد من شفاء ما في صدورهم من حب التطاول على الضعفاء وشفاء خلق الأذى المتطبعين عليه دون نفع في الآخرة." ²⁵ والمراد من هذا التشبيه تفضيع المشبه به وليس المراد المماثلة في الحكم الشرعي.

ثانياً : تمثيل حال الكافر الذي ينفق ماله رثاء الناس بحال صفوان عليه تراب يغشيه، يعنى يخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، ثم أصابه وابل فلم يترك منه شيئاً وبقي مكانه صلداً أملس فخاب أمل الزارع. وهذا أحسن وأدق من أن نجعل المعنى تمثيل إنفاق الكافر، ووجه الشبه هو سرعة الزوال وعدم القرار.²⁶

²³ - سورة المدثر، 74 : 6.

²⁴ - سورة البقرة، 2 : 264.

²⁵ - ابن عاشور، مجلّد الطاهر بن عاشور، 1984م، الجزء 3، الصفحة 48.

²⁶ - نفس المرجع.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

فالتشبيه تشبيه مركب معقول بمركب محسوس، ووجه الشبه الأمل في حالة تغري بالنفع ثم لا تلبث ألا تأتي لآملها بما أمّله فخاب أمّله. ذلك أن المؤمنين لا يخلون من رجاء حصول الثواب لهم من صدقاتهم، ويكثر أن تعرض الغفلة للمتصدق فيتبع صدقته بالمن والأذى اندفاعاً مع خواطر خبيثة.

8- قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْبِيهًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ

أَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَاَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝²⁷

عطف مثل الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله بحال الذي ينفق ماله رثاء الناس، لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البون وتأكيد للثناء على المنفقين بإخلاص، وتفنن في التمثيل. فإنه قد شبه فيما سلف بحجة أنبت سبع سنابل، وشبه فيما سلف تشبيهاً غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيّل مضاعفة الثواب، فلما شبه حال المنفق رثاء بالتمثيل الذي مضى أعيد التمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيّل، فإن الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيباً وضمنت الهيئة المشبه بها أحوالاً حسنة تكسيها حسناً ليسري ذلك التحسين إلى المشبه، هذا من جملة مقاصد التشبيه.

وجاء التمثيل بهذا الإنفاق بـ ﴿ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَاِبِلٌ ﴾ ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من مجموع الأشياء تكامل بما تضعيف المنفعة، فالهيئة المشبهة هي النفقة التي حف بها طلب رضى الله والتصديق بوعده فضوعفت أضعافاً كثيرة أو دونها في الكثرة، والهيئة المشبهة بها هي هيئة اللجنة الطبية المكان التي جاءها التهنان فزكا ثمرها وتزايد فأكملت الثمرة.

²⁷ - سورة البقرة، 2 : 265.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

وتخصيص الجنة بأنها في ربوة لأن أشجار الربي تكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً فكان لهذا القيد فائدتان إحداهما قوة وجه الشبه كما أفاده قوله تعالى : ﴿فَأَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾²⁸ وثانيهما تحسين المشبه به الراجع إلى تحسين المشبه في تخيل السامع.

قد بين الله سبحانه وتعالى بضرب الأمثال العجيبة للمنفقين في سبيل الله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾²⁹ و﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾³⁰ ولما أتبع بما يفيد أن ذلك إنما هو للمنفقين في سبيل الله الدين ﴿لَا يُبْعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى﴾³¹ ثم أتبع بالنهي عن أن يتبعوا صدقاتهم بالمن والأذى، إذا تأملت فيه استشرقت نفس السامع بوضوح حالهم الذميمة كما ضرب المثل لمن كانوا بضدّ حالهم في حالة محمودة.

9- قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾³²

إفضاء إلى المقصود وهو الأمر بالصدقات بعد أن قدم بين يديه مواعظ وترغيب وتحذير. وهي طريقة بلاغية في الخطابة والخطاب. فرمما قدموا المطلوب ثم جاؤوا بما يكسبه قبولاً عند السامعين، وربما قدموا ما يكسب القبول قبل المقصود كما هنا. وهذا من ارتكاب خلاف مقتضى الظاهر في ترتيب الجمل، ونكتة ذلك أنه قد شاع بين الناس الترغيب في الصدقة وتكرّر ذلك في نزول القرآن فصار غرضاً دينياً مشهوراً، وكان الاهتمام بإيضاحه والترغيب في أحواله والتنفير من نقائصه أجدر بالبيان.

²⁸ - سورة البقرة، 2 : 265.

²⁹ - سورة البقرة، 2 : 261.

³⁰ - سورة البقرة، 2 : 265.

³¹ - سورة البقرة، 2 : 262.

³² - سورة البقرة، 2 : 267.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

والأمر في الآية يجوز أن يكون للوجوب فتكون الآية في الأمر بالزكاة أو للندب وهي في صدقة التطوع، أو هو للقدر المشترك في الطلب فتشمل الزكاة وصدقة التطوع، والأدلة الأخرى تبين حكم كل. والقيود بالطيبات يناسب تعميم النفقات. والمراد بالطيبات خيار الأموال، فيطلق الطيب على الأحسن في صنفه. والكسب ما يناله المرء بسعيه كالتجارة والإجارة والغنيمة والصيد. ويطلق الطيب على المال المكتسب بوجه حلال لا يخالطه ظلم ولا غش، وهو الطيب عند الله كقول النبي ﷺ: ﴿من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل﴾³³ ولم يذكر الطيبات مع قوله: ﴿وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ اكتفاء عنه بتقديم ذكره في قسيمه، ويظهر أن ذلك لم يقيد بالطيبات لأن قوله: ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ﴾ أشعر بأنه مما اكتسبه المرء بعمله بالحرث والغرس ونحو ذلك، لأن الأموال الخبيثة تحصل غالباً من ظلم الناس أو التحيل عليهم وغشهم وذلك لا يتأتى في الثمرات المستخرجة من الأرض غالباً. وقوله: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ جملة حالية من ضمير تنفقون ويجوز أن يكون الكلام على ظاهره من الإخبار فتكون جملة الحال تعليلاً لنهيهم عن الإنفاق من المال الخبيث شرعاً بقياس الإنفاق منه على اكتسابه قياس مساواة أي كما تكرهون كسبه كذلك ينبغي أن تكرهوا إعطاءه. وكأن كراهية كسبه كانت معلومة لديهم متقررة في نفوسهم، ولذلك وقع القياس عليها. ويجوز أن يكون الكلام مستعملاً في النهي عن أخذ المال الخبيث، فيكون الكلام منصرفاً إلى غرض ثانٍ وهو النهي عن أخذ المال الخبيث والمعنى لا تأخذوه، وعلى كلا الوجهين هو مقتض تحريم أخذ المال المعلومة حرمة على من هو بيده ولا يُحَلَّ انتقاله إلى غيره. والإغماض إطباق الجفن ويطلق مجازاً على لازم ذلك، فيطلق تارة على الهناء والاستراحة لأن من لوازم الإغماض راحة النائم. وكذلك كناية على التجاهل في الأمر.

³³ - البخاري، مُجَدِّد بن إسماعيل، 2002، رقم الحديث : 1410، الصفحة 342.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

وقوله : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ تذييل، أي غني عن صدقاتكم التي لا تنفع الفقراء، أو التي فيها استساعة الحرام. نُزِلَ المخاطبون الذين هُوَ عن الإنفاق من الحبيث منزلة من لا يعلم أن الله غني فأعطوا لوجهه ما يقبله المحتاج بكل حال ولم يعلموا أنه يحمد من يعطي لوجهه من طيب الكسب. والغني الذي لا يحتاج إلى ما تكثر حاجة غالب الناس إليه، والله الغني المطلق فلا يعطى لأجله ولامثال أمره إلاّ خير ما يعطيه أحد للعني عن المال. والحميد من أمثلة المبالغة، أي شديد الحمد؛ لأنه يثني على فاعلي الخيرات. ويجوز أن يكون المراد أنه محمود، فيكون حميد بمعنى مفعول، أي فتخلّفوا بذلك لأنّ صفات الله تعالى كمالات، فكونوا أغنياء القلوب عن الشحّ محمدين على صدقاتكم، ولا تعطوا صدقات تؤذّن بالشحّ ولا تشكرون عليها.

10- قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ³⁴

تذييل للكلام السابق المسوق للأمر بالإنفاق وصفاته المقبولة والتحذير من المتبّطات عنه ابتداء من قوله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾³⁵ وقوله ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾³⁶. والمقصود من هذا التذييل التذكير بأنّ الله لا يخفى عليه شيء من النفقات وصفاتها، وأدمج النذر مع الإنفاق فكان الكلام جديراً بأن يكون تذيلاً. والنذر التزام قربة أو صدقة بصيغة الإيجاب على النفس كقوله عليّ صدقة وعليّ تجهيز غازٍ أو نحو ذلك، ويكون مطلقاً ومعلقاً على شيء.

وفي الحديث الصحيح عن عمر وابنه عبد الله وأبي هريرة عن النبي ﷺ (أنّ النذر لا يُقدّم شيئاً ولا يؤخّر، ولا يردّ شيئاً ولا يأتي ابن آدم بشيء لم يكن قدّر له، ولكنه يُستخرج به من البخيل)³⁷. ومساقه الترغيب في النذر غير

³⁴ - سورة البقرة، 2 : 270.

³⁵ - سورة البقرة، 2 : 267.

³⁶ - سورة البقرة، 2 : 270.

³⁷ - البخاري، مُجَدِّدٌ بن إسماعيل، 2002، باب الوفاء بالنذر، رقم الحديث : 6692، الصفحة 1657.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

المعلق لا إبطال فائدة النذر . وقد مدح الله عباده فقال : ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾³⁸ . وفي "الموطأ" عن النبي ﷺ (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه). و"من" في قوله ﴿مَنْ نَفَقَةٍ﴾ ﴿مَنْ نَذَرَ﴾ بيان لما أنفقتم ونذرتهم، ولما كان شأن البيان أن يفيد معنى زائداً على معنى المبيّن، وكان معنى البيان هنا عين معنى المبيّن، تعيّن أن يكون المقصود منه بيان المنفق والمنذور بما في تنكير مجروري "من" من إرادة أنواع النفقات والمنذورات فأكد بذلك العموم ما أفادته ما الشرطية من العموم من خير أو شر في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت.

وقوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ كناية عن الجزاء عليه لأنّ علم الله بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد لازم معناه، وإتّما كان لازماً له لأنّ القادر لا يصدّه عن الجزاء إلاّ عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسيء. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ هذا وعيد قبول به الوعد الذي كتي عنه بقوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾، والمراد بالظالمين المشركون والمنافقون، لأنّهم إن منعوا الصدقات الواجبة فقد ظلموا مصارفها في حقهم في المال وظلموا أنفسهم بإلقائها في تبعات المنع، وإن منعوا صدقة التطوّع فقد ظلموا أنفسهم بحرمانها من فضائل الصدقات وثوابها في الآخرة. والأنصار جمع نصير ، ونفي الأنصار كناية عن نفي النصر والغوث في الآخرة وهو ظاهر، وفي الدنيا لأنّهم لما بخلوا بنصرهم الفقير بأموالهم فإنّ الله يعدمهم النصير في المضائق، ويقسي عليهم قلوب عباده، ويلقي عليهم الكراهية من الناس.

11- قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا

تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾³⁹

استئناف معترض به بين قوله ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقَاتٍ فَبِعَمَّ هِيَ﴾⁴⁰ وبين قوله : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾،

ومناسبته هنا أنّ الآيات المتقدمة يلوح من خلالها أصناف من الناس : منهم الذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا

³⁸ - سورة الإنسان، 76 : 7.

³⁹ - سورة البقرة، 2 : 272.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ومنهم الذين يبطلون صدقاتهم بالمنّ والأذى، ومنهم الذين يتممون الخبيث منه ينفقون، ومنهم من يعدهم الشيطان الفقر ويأمرهم بالفحشاء. وكان وجود هذه الفرق مما يتقل على النبي ﷺ فعقّب الله ذلك بتسكين نفس رسوله والتهوين عليه بأن ليس عليه هداهم ولكن عليه البلاغ. فالهتدى هنا بمعنى الإلجاء لحصول الهدي في قلوبهم، وأما الهدي بمعنى التبليغ والإرشاد فهو على النبيّ، ونظائر هذا في القرآن كثيرة.

فيكون نزول الآية ناشئاً عن نزول آيات الأمر بالإنفاق والصدقة، فتكون الآيات المتقدمة سبب السبب لنزول هذه الآية. والمعنى أن ليس عليك أن تهديهم بأكثر من الدعوة والإرشاد، دون هداهم بالفعل أو الإلجاء؛ إذ لا هادي لمن يضل الله، وليس مثل هذا بميسر للهتدى. والخطاب في ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ ظاهره أنه خطاب للرسول على الوجه الأول الذي ذكرناه. ويجوز أن يكون خطاباً لمن يسمع على الوجه الآتي في الضمير إذا اعتبرنا ما ذكره في سبب النزول، أي ليس عليك أيها المتردد في إعطاء قريبك.

و"على" في قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ للاستعلاء المجازي، أي طلب فعل على وجه الوجوب. والمعنى ليس ذلك بواجب على الرسول، فلا يحزن على عدم حصول هداهم لأنه أذى واجب التبليغ، أو المعنى ليس ذلك بواجب عليكم أيها المعالجين لإسلامهم بالحرمان من الإنفاق حتى تسعوا إلى هداهم بطرق الإلجاء. وتقديم الظرف وهو ﴿عَلَيْكَ﴾ على المسند إليه وهو ﴿هُدَاهُمْ﴾ إذا أجرى على ما تقرّر في علم المعاني من أنّ تقديم المسند الذي حقه التأخير يفيد قصر المسند إليه إلى المسند، وكان ذلك في الإثبات بيّناً لا غبار عليه نحو ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾⁴¹ وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾⁴².

⁴⁰ - سورة البقرة، 2 : 271.

⁴¹ - سورة الكافرون، 109 : 6.

⁴² - سورة البقرة، 2 : 286.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

وقوله ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ هذه الآية عطف على جملة ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقَاتٍ﴾⁴³ وموقعها زيادة بيان فضل الصدقات كلها، وأما لما كانت منفعتها لنفس المتصدق فليختر لنفسه ما هو خير، وعليه أن يُكثر منها بنبد كل ما يدعو لترك بعضها. إنما تكون منفعة الصدقات لأنفسكم إن كنتم ما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله لا للرياء ولا لمرعاة حال مسلم وكافر، وهذا المعنى صالح لكلا المعنيين المحتملين في الآية التي قبلها.

وكرر فعل تنفقون ثلاث مرات في الآية لمزيد الاهتمام بمدلوله وجيء به مرتين بصيغة الشرط عند قصد بيان الملازمة بين الإنفاق والثواب، وجيء به مرة في صيغة النفي والاستثناء لأنه قصد الخبر بمعنى الإنشاء، أي النهي عن أن ينفقوا إلا لابتغاء وجه الله. وتقديم ﴿وَأَنْتُمْ﴾ على الخبر الفعلي لمجرد التقوي وزيادة التنبيه على أنهم لا يُظلمون، وإنما يُظلمون أنفسهم. وإنما جعلت هاته الأحكام جملاً مستقلاً بعضها عن بعض ولم تجعل جملة واحدة مقيّدة فائدتها بقيود جميع الجمل وأعيد لفظ الإنفاق في جميعها بصيغ مختلفة تكريراً للاهتمام بشأنه، لتكون كل جملة مستقلة بمعناها قصيرة الألفاظ كثيرة المعاني، فتجري مجرى الأمثال، وتتناقلها الأجيال.

وقد أخذ من الآيات الأخيرة على أحد التفسيرين جواز الصدقة على الكفار، والمراد الكفار الذي يختلطون بالمسلمين غير مؤذنين لهم وهم أهل العهد وأهل الذمة والجيران. واتفق فقهاء الإسلام على جواز إعطاء صدقة التطوع للكافرين، وحكمة ذلك أنّ الصدقة من إغاثة الملهوف والكافر من عباد الله، ونحن قد أمرنا بالإحسان إلى الحيوان، ففي الحديث الصحيح: قالوا يا رسول الله وإنّ لنا في البهائم لأجراً. فقال ﷺ: ﴿في كل ذي كبدٍ رطبةٍ أجر﴾⁴⁴. واتفق الفقهاء على أنّ الصدقة المفروضة أعني الزكاة لا تعطى للكفار، وحكمة ذلك أنّها إنما فرضت لإقامة أود المسلمين ومواساتهم، فهي مال الجامعة الإسلامية يؤخذ بمقادير معيّنة، ففيه غنى المسلمين، بخلاف ما

⁴³ - سورة البقرة، 2 : 281.

⁴⁴ - البخاري، مُحدّ بن إسماعيل، 2002، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث : 6009، الصفحة 1508.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

يعطيه المرء عن طيب نفس لأجل الرأفة والشفقة. واختلفوا في صدقة الفطر، فالجمهور ألقوها بالصدقات المفروضة، وأبو حنيفة ألقها بصدقة التطوع فأجاز إعطاءها إلى الكافر. ولو قيل ذلك في غير زكاة الفطر كان أشبهه، فإن العيد عيد المسلمين، ولعله رآها صدقة شكر على القدرة على الصيام، فكان المنظور فيها حال المتصدق لا حال المتصدق عليه. وقوله الجمهور أصح لأن مشروعيتها لكفاية فقراء المسلمين عن المسألة في يوم عيدهم وليكونوا في ذلك اليوم أوسع حالاً منهم في سائر المدة، وهذا القدر لا تظهر حكمته في فقراء الكافرين.

12- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁴⁵

جملة مستأنفة تفيد تعميم أحوال فضائل الإنفاق بعد أن حُصص الكلام بالإنفاق للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، فاسم الموصول مبتدأ.

وهذه بشارة للمنفقين بطيب العيش في الدنيا فلا يخافون اعتداء المعتدين لأن الله أكسبهم محبة الناس إياهم، ولا تحلّ بهم المصائب المحزنة إلا ما لا يسلم منه أحد ممّا هو معتاد في إبانة. أما انتفاء الخوف والحزن عنهم في الآخرة فقد علم من قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. ورفع خوف في نفي الجنس إذ لا يتوهم نفي الفرد لأنّ الخوف من المعاني التي هي أجناس محضة لا أفراد لها كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾⁴⁶.

نتائج البحث

إن الله قد بيّن للناس بعض المعاني من خلال الصورة البيانية وقد حاء ذلك واضحاً في آيات الإنفاق ، قد وجدت أمثلة للصورة البيانية في الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإنفاق في سورة البقرة وكانت على النحو الآتي

⁴⁵ - سورة البقرة، 2 : 274.

⁴⁶ - سورة البقرة، 2 : 254.

الصورة البيانية في آيات الإنفاق في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً

1. وجدت التشبيه في أربعة مواضع في بيان الإنفاق على المحتاجين، والترهيب والترغيب في الصدقات وبيان جزاء الإنفاق ابتغاء مرضات الله.
2. وقد وجدت المجاز في أربعة مواضع تتحدث عن بعض صور الإنفاق في سبيل الله ومبطلات الإنفاق وقبوله وبيان صفة الإنفاق والصدقات والترغيب والترهيب فيه.
3. ووجدت صورة الكناية في أربعة مواضع تتحدث عن الإنفاق والإنفاق لا يطلب منه إلا جزاء الآخرة والترغيب والترهيب في الصدقات والنفقة المنذورة.
4. وتحدثت عن بعض آيات الإنفاق أو بعض صورته سواء أكانت سرّاً، أو علانية.

المصادر والمراجع

- 1- الزمخشري، محمود بن عمر، 1998، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، الرياض، مكتبة العبيكان.
- 2- البخاري، مُجَدِّد بن إسماعيل، 2002، صحيح البخاري، بيروت، دار ابن كثير.
- 3- ابن عاشور، مُجَدِّد الطاهر بن عاشور، 1984م، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- 4- ابن منظور، جمال الدين، 1300هـ / 1883م، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف،
- 5- النسائي، أحمد بن شعيب، 2001، كتاب السنن الكبرى، لبنان، مؤسسة الرسالة، الجزء الثالث.